

## عقاب المتكبرين على الدعوة السلفية

إعداد: هشام بن فهمي العارف

تاريخ ١٣/٠٧/١٤٣٢ الموافق ١٥/٠٦/٢٠١١

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛

قال تعالى:

١- (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦) [الأعراف]

### الكبر من أقوى عوامل الصرف عن الحق

أسباب كثيرة تحول بين الإنسان وبين اتباعه الحق منها الكبر، فالكبر من أقوى عوامل الصرف عن آيات الله تعالى، قال العلامة المعلمي اليماني . رحمه الله .:

٢- "الكبر، يكون الإنسان على جهالة أو باطل، فيجيء آخر فيبين له الحجة، فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه، و لهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق تبين له ببحثه ونظره، ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بين له". [القائد إلى تصحيح العقائد" (ص:٩):]

وقال ابن الجوزي . رحمه الله .:

٣- "والمتكبر يرى نفسه أعلى من الغير؛ فتحصل له هزة وفرح وركون له إلى ما اعتقده، وذلك نفخ الشيطان". [غذاء الألباب" للسفاريني (١٧٣/٢)]

ويفهم من الآية أن المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك؛ فهو في سفول من ذلة إلى ذلة، فعن ابن عباس . رضي الله عنهما قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم

::

٤ - "ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا

تكبر قيل للملك: ضع حكمته". [أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" وهو في "السلسلة الصحيحة" (٥٣٨)]

قال السعدي . رحمه الله .:

٥ - "فمن كان بهذه الصفة، حرمه الله خيراً كثيراً وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به،

بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح".

قال ابن كثير . رحمه الله .:

٦ - "كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل".

قلت: وأذلهم الله تعالى في نار جهنم، قال . عليه السلام .:

٧ - "يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صورة الرجال يغشاهم الذل من كل مكان،

يساقون إلى سجن من جهنم يسمى بولس، تملوهم نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار

طينة الخبال". [أخرجه الترمذي، والإمام البخاري في "الأدب المفرد"، وأحمد، وهو في "صحيح الجامع" (٨٠٤٠)]

وجعل الله تعالى الصرف عن آياته عقوبة المتكبر على تكبره. فقال: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ) بسين

الاستقبال القريب؛ تنبيهه على أن الله يُعَجِّلُ ذلك الصرف. فهي بمثابة إنذار للفاسقين والمتكبرين

عن طاعة الله، فاليهود حين قالوا:

٨ - (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)

عَجَّلَ اللهُ لهم العقاب بأن صبغ حب العجل، وحب عبادته في قلوبهم. فقال:

٩ - (وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ .. (٩٣) [البقرة]

وقوله: (وَأَشْرَبُوا) أي: وهو من الإشراب: وهو مداخلة سائعة كالشراب، نعوذ بالله تعالى من الفتن

والخذلان. قال ابن كثير . رحمه الله .:

١٠ - "وهذا أبلغ في عنادهم وكفرهم، أنهم يتولون عن كتاب الله بعد ما عقلوه، وهم يعلمون

ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة".

وفي تفسير الآية من سورة الأعراف قال ابن جرير الطبري . رحمه الله .:

١١ - "إن الله أخبر أنه سيصرف عن آياته، وهي أدلته وأعلامه على حقيقة ما أمر به عباده

وفرض عليهم من طاعته في توحيدِه وعدله، وغير ذلك من فرائضه، والسموات والأرض، وكل

موجود من خلقه فمن آياته، والقرآن أيضاً من آياته، وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته

المتكبرين في الأرض بغير الحق، وهم الذين حَقَّتْ عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون، فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادِّكار بها مصروفون، لأنهم لو وقَّفوا لفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به، اتعضوا وأنابوا إلى الحق، وذلك غير كائن منهم، لأنه جلّ ثناؤه قال: (وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا) فلا تبديل لكلمات الله".

ولما سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الكبر قال:

١٢ - "الكبر بطر (وفي رواية: سفه) الحق، وغمص (وفي رواية: غمط) الناس". [أخرجه مسلم،

والترمذي، وأحمد، وغيرهم وهو في "السلسلة الصحيحة" (١٣٤) و (١٦٢٦)]

و(بطر) و (سفه) بمعنى:

١٣ - "الاستخفاف بالحق، وألّا يراه على ما هو عليه من الرُّجحان والرزانة". ["النهاية"]

قال شيخنا - رحمه الله -:

١٤ - "أن الكبر الذي قرن مع الشرك والذي لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منه؛ إنما هو الكبر على الحق ورفضه بعد تبيّنه، والطعن في الناس الأبرياء بغير حق. فليحذر المسلم أن يتصف بشيء من مثل هذا الكبر كما يحذر أن يتصف بشيء من الشرك الذي يخلد صاحبه في النار".

فهو هنا:

١٥ - "يتكبر فيجعل ما جعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلاً". ["النهاية"]

و (غمص) و (غمط) الناس بمعنى:

١٦ - "استحقرهم ولم يرههم شيئاً".

قال شيخنا محمد صالح العثيمين - رحمه الله -:

١٧ - "فهو في نفسه عال على الحق، وعال على الخلق، لا يلين للحق ولا يرحم الخلق، والعياذ بالله، فهذه علامات أهل النار، نسأل الله أن يعيدنا وإياكم من النار وأن يدخلنا وإياكم الجنة إنه جواد كريم". ["شرح رياض الصالحين" (٢٩٥/١)]

فهو هنا:

١٨ - "يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً، أو يتكبر عن الحق فلا يقبله". ["النهاية"]

وهذا اللون من التحبُّر عند الحقِّ، والتكبُّر عن الحقِّ، يقع فيه الفسقة والفجرة والمبتدعة بكافة طوائفهم ومسمياتهم، ويقع في هذا اللون من التكبُّر كثير من المنتسبين إلى العلم! لفساد قلوبهم، وحسداهم لغيرهم على ما آتاه الله من فضله، وتكبرهم على الناس، وفي مقال لي بعنوان:

١٩- "لزوم الحق وذمُّ التعصُّب". [تاريخ ١٤٢٩/٨/١١ الموافق ٢٠٠٨/٨/١٣]

قلت:

٢٠- "إن التمسك بالحق في الناس أمر عزيز، كذلك الصبر من أجل الثبات على الحق أيضاً عزيز. وإن التكذيب بالحق خسران في الدنيا والآخرة، ويورث في الدنيا الفوضى، والاضطراب، واختلاط الأمور، لأنه منافٍ للفطرة، فالناس فطروا على محبة الحق وإرادته، قال ابن تيمية . رحمه الله .:

٢١- "والقلب خلق يحب الحق ويريده ويطلبه". ["مجموع الفتاوى" (٨٨/١٠)]

والوقوع بجريمة تكذيب الحق الذي مصدره التعصُّب المقيت تحريف للفطرة السليمة، وبالتالي الدخول بالعبثية المرفوضة، لأن الكذب على الحق، أو التكذيب بالحق من الآفات المحطمة للمجتمع، وتهيج للضلال، وتثوير للباطل، قال . تعالى .:

٢٢- (بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (٥) [سورة ق]

يعني: لما تركوا الحق وعدلوا عنه؛ تعصُّباً لاعتقاداتهم الضالة، مرج عليهم أمرهم والتبس، وهذا عقاب من تفلَّت من اتباع الحق، أو صدَّ عنه، فأصحاب هذا المسلك المشين لا يدرون ما يقولون وما يفعلون، قال ابن القيم . رحمه الله .:

٢٣- "بل لا يقولون شيئاً إلا كان باطلاً، ولا يفعلون شيئاً إلا كان ضائعاً غير نافع لهم، وهذا

شأن كل من خرج عن الطريق الموصل إلى المقصود". ["التبيان في أقسام القرآن" (٧٥/١)]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . رضي الله عنه . قَالَ:

٢٤- "لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم .".

٢٥- (لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ

اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) [البقرة]

قَالَ:

٢٦- "فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . فَاتُّوا رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرِّكْبِ فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولَ اللَّهِ كُفِّنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ وَقَدْ أُنزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا".

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم .:

٢٧- "أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ".

قَالُوا:

٢٨- "سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ".

فَلَمَّا افْتَرَاهَا القَوْمُ ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا:

٢٩- (أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ (٢٨٥) [البقرة] فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

٣٠- (لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا.. (٢٨٦) [البقرة]

قَالَ: "نَعَمْ".

٣١- (... رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا.. (٢٨٦) [البقرة]

قَالَ: "نَعَمْ".

٣٢- (... رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ.. (٢٨٦) [البقرة]

قَالَ: "نَعَمْ".

٣٣- (... وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ.. (٢٨٦) [البقرة]

قَالَ: "نَعَمْ". [أخرجه الإمام مسلم]

## المعاندون انصرفوا عن الحق لأنهم انهمكوا بالبدع والأهواء

وقال تعالى:

٣٤- (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) [فصلت]

وعلاوةً على ذلك، فإن آيات الله أن يُعَرِّضَ على العبد سبيل الرشده فيرفضه، ويرى سبيل الغي فيتبعه ويتخذ سبيلًا، فنزع الله تعالى عنهم فهم القرآن والسنة. والقرآن والسنة من آياته، وانطلقوا إلى العيشة في العلم والعمل. وإلى هذا ذهب سفيان بن عيينة. رحمه الله. في تفسير قول الله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) فقال:

٣٥- "أَمْنَعُهُمْ فَهَمَّ كِتَابِي". [شرح مشكل الآثار (١٨٤/٢)]

قال ابن القيم. رحمه الله.:

٣٦- "صحة الفهم، وحسن القصد، من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاءً بعد الإسلام أفضل، ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين الذين فسدت فهمهم، ويصير من المنعم عليه الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم، الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفساد، والحق والباطل...، ويمده حسن القصد وتحري الحق وتقوى الرب في السر والعلانية، ويقطع مادته اتباع الهوى وإيثار الدنيا، وطلب محمداً الخلق، وترك التقوى". [إعلام الموقعين (٨٧/١)]

فهم وان اتضحت أمامهم معالم الهدى والسداد والصواب والحق، لكنهم في الحقيقة يؤثرون طريق الضلال والباطل. فهم لعنادهم الحق أو استحقارهم الناس، تحتل نظرهم بسبب انهمكهم في الهوى وحبّ الجاه، قال سهل بن عبد الله التستري. رحمه الله.:

٣٧- "ردهم إلى سابق علمه فيهم أنهم سيفعلون ذلك لخذلانه إياهم بما دلّتهم عليه أنفسهم الطبيعية من الحركة في النهي، والسكون في الأمر، وادعاء الحول والقوة على ما جبلت عليه أنفسهم، والاعتزاز به".

وقال الشيخ السعدي. رحمه الله.:

٣٨- "وذلك أن الله تعالى ذكر عن الراسخين، أنهم يسألونه أن لا يزيغ قلوبهم، بعد إذ هداهم، وقد أخبر في آيات أخر الأسباب التي بها تزيغ قلوب أهل الانحراف، وأن ذلك بسبب كسبهم، كقوله تعالى:

٣٩- (..فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ..) (٥) [الصف]

وقوله:

٤٠- (..ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ..) (١٢٧) [التوبة]

وقوله:

٤١- (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ..) (١١٠) [الأنعام]

فالعبد إذا تولى عن ربه، ووالى عدوه، ورأى الحق، فصدف عنه، ورأى الباطل فاختره، ولآه الله ما تولى لنفسه، وأزاغ قلبه، عقوبة له على زيغ، وما ظلمه الله، ولكنه ظلم نفسه، فلا يلم إلا نفسه الأمانة بالسوء، والله أعلم.

قال المعلمي اليماني . رحمه الله .:

٤٢- "ومن المنتسبين إلى العلم من يهوى ما يعجب الأغنياء وأهل الدنيا، أو ما يعجب العامة ليكون له جاه عندهم، وتقبل عليه الدنيا، فما ظهرت بدعة، وهويها الرؤساء و الأغنياء وأتباعهم إلا هويها وانتصر لها جمع من المنتسبين إلى العلم، ولعل كثيراً ممن يخالفها إنما الباعث لهم عن مخالفتها هوى آخر وافق الحق، فأما من لا يكون له هوى إلا إتباع الحق فقليل، ولا سيما في الأزمنة المتأخرة، و هؤلاء القليل يقتصرون على أضعف الإيمان، وهو الإنكار بقلوبهم والمسارة به فيما بينهم، إلا من شاء الله". [التكيل" (٣/٢٣٠)]

فمن صرف الله تعالى قلبه عن آياته منعه الاقتداء برسول الله . صلى الله عليه وسلم .، ومنعه محبة أصحاب النبي . صلى الله عليه وسلم .، ومنعه محبة التابعين لهم بإحسان، ومنعه محبة العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ومنعه محبة الطائفة المنصورة، ومنعه الانتصار للدعوة السلفية. لذلك نقل البغوي . رحمه الله . عن ابن عباس قوله:

٤٣- "يريد الذين يتجبرون على عبادي ويحاربون أوليائي، سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي؛ عقوبة بحرمان الهداية لعنادهم الحق".

ومن صرف الله تعالى قلبه عن آياته منعه محبة الحق، وحرمة اتباع السنّة، وضرب على عقله أن يتفكر بآلاء الله، وقال ابن جريج . رحمه الله .:

٤٤ - "سأصرفهم عن أن يتفكروا في خلق السماوات والأرض وما بينهما من الآيات، وأن يعتبروا بها".

فلمصرفهم عن آيات الله مصروف إلى الضلال والظلم والشهوة وارتكاب المعاصي، ويصرفه الله تعالى إلى البدعة والابتداع، فهو بعيد عن العدل والانصاف في كل شيء، وبعيد عند القصد والوسطية في الأمور، فينشأ عنده الإفراط أو التفريط، وينشأ عنده الغلو والتشدد في الدين، أو ينشأ عنده الاستهتار واللامبالاة بالدين.

عن أبي موسى الأشعري . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . صلى الله عليه وسلم .:

٤٥ - "إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن، غير الغالي فيه، ولا الجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط". [صحيح سنن أبي داود" (٤٨٤٣)]

وهؤلاء المتكبرون عن طاعة الله قال الله تعالى: (وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً) قال الطبري . رحمه الله .:

٤٦ - "يقول: كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته، وكل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره. (لا يُؤْمِنُوا بِهَا) يقول: لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة، ولكنهم يقولون: "هي سحر وكذب".

قال تعالى عن قوم فرعون:

٤٧ - (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤) [النمل]

فكلما قامت الحجة ظاهرة واضحة بيّنة تنطعوا، وسارعوا إلى إطفائها بحجج أوهى من بيت العنكبوت. قال تعالى:

٤٨ - "يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ .. (٨) [الصف]

وقال تعالى في الآية من سورة الأعراف: (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) والرشد: ضد السفه والخيبة، قال الطبري . رحمه الله .:

٤٩- "يقول: وإن يرى هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب، وصاروا إلى نعيم الأبد، لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقاً، جهلاً منهم وحيرة".

فهم الخاسرون لأنهم يتكبرون ولا يعتبرون، لذلك جعل الله تعالى في سورة العصر الرابع في الناس من تواصلوا بالحق، وتواصلوا بالصبر. عن ابن عمر. رضي الله عنهما. عن النبي. صلى الله عليه وسلم. قال لأصحابه، يعني لما وصلوا الحجر "ديار ثمود":

٥٠- "لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا

تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم". [رواه البخاري، ومسلم، وأحمد وهو في "السلسلة الصحيحة" (١٩)]

وزاد احمد:

٥١- "وتقنع بردائه وهو على الرحل".

وفي رواية:

٥٢- "لما مر النبي. صلى الله عليه وسلم. بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا

أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز

الوادي". [متفق عليه]

٥٣- "وقد ترجم لهذا الحديث صديق خان في "نزل الأبرار" (ص: ٢٩٣) بـ "باب البكاء

والخوف عند المرور بقبور الظالمين و بمصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتحذير

من الغفلة عن ذلك".

فالاستكبار على السنّة، أو الاستكبار على العمل بالسنّة، يورث الذلّة والغفلة، ويصير المستكبر

على الحق حتماً إلى الخسران. قال ابن القيم. رحمه الله.:

٥٤- "والغفلة عن ذكر الله والدار الآخرة متى تزوجت باتباع الهوى تولد بينهما كل شر،

وكثيراً ما يقترن أحدهما بالآخر ولا يفارقه". [كتاب أرسله الحافظ ابن القيم إلى بعض إخوانه (ص: ٣١-٣٢)]

وقال تعالى: (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) والعرب تطلق الغي على كل شر، وتطلق

الرشاد على كل خير، قال الطبري. رحمه الله.:

٥٥- "وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلّوا وهلكوا. (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقًا، لصرف الله إياهم عن آياته، وطبعه على قلوبهم، فهم لا يفلحون ولا ينجحون".

والمندري في كتابه "الترغيب والترهيب" جعل في كتاب السنّة منه باباً سماه:

٥٦- "الترهيب من ترك السنّة وارتكاب البدع والأهواء".

ذكر فيه حديثاً عن أبي برزة . رضي الله عنه . عن النبي . صلى الله عليه وسلم .:

٥٧- "إنما أخشى عليكم شهوات الغيِّ في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى". [رواه أحمد،

والبزار، والطبراني في "معجمه الثلاثة"، وهو في "صحيح الترغيب والترهيب" (٥٢)]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله .:

٥٨- "وإذا اجتمعت شهوات الغي ومضلات الفتن قوي البلاء وصار صاحبه مغضوباً عليه

ضالاً وهذا يكون كثيراً بسبب حب الرئاسة والعلو في الأرض". [جامع الرسائل (١/٢٣٢)]

وقال . رحمه الله .:

٥٩- "وهذا حال الذي لا يعمل بعلمه بل يتبع هواه وهو الغاوي... وهذا مثل علماء السوء

... فالذين يرهبون ربهم خلاف الذين يتبعون أهواءهم ... فأولئك المستكبرون المتبعون

أهواءهم مصروفون عن آيات الله لا يعلمون ولا يفهمون، لما تركوا العمل بما علموه استكباراً

واتباعاً لأهوائهم عوقبوا بأن منعوا الفهم والعلم، فإن العلم حرب للمتعالى، كما أن السيل

حرب للمكان العالى، والذين يرهبون ربهم عملوا بما علموه، فأتاهم الله علماً ورحمة؛ إذ من

عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم". [مجموع الفتاوى (٧/٦٢٥)]

وقال . رحمه الله .:

٦٠- "وهؤلاء المعرضون عن الطريقة النبوية السلفية يجتمع فيهم هذا وهذا: اتباع شهوات

الغي ومضلات الفتن، فيكون فيهم من الضلال والغي بقدر ما خرجوا عن الطريق الذي بعث

الله به رسوله، ولهذا أمرنا الله أن نقول في كل صلاة:

٦١- (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

الضَّالِّينَ (٧) [الفاتحة]

وقد صح عن النبي . صلى الله عليه وسلم . أنه قال:

٦٢- "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالّال". [أخرجه الترمذي وهو في "صحيح الجامع" (٨٢٠٢)]  
وكان السلف يقولون:

٦٣- "احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون".

فكيف إذا اجتمع في الرجل الضلال والفجور؟ ولو جمعت ما بلغني في هذا الباب عن أعيان هؤلاء كفلان وفلان لكان شيئاً كثيراً، وما لم يبلغني من حيرتهم وشكهم أكثر وأكثر، وذلك لأن الهدى هو فيما بعث الله به رسله، فمن أعرض عنه لم يكن مهتدياً فكيف بمن عارضه بما يناقضه وقدم مناقضه عليه؟ قال الله تعالى لما أهبط آدم:

٦٤- (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٢٦) [طه]

قال ابن عباس . رضي الله عنهما .:

٦٥- "تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية".

وقوله تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي) يتناول الذكر الذي أنزله وهو الهدى الذي جاءت به الرسل، كما قال تعالى في آخر الكلام (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا) أي: تركت اتباعها والعمل بما فيها. فمن طلب الهدى بغير القرآن ضل، ومن اعتر بغير الله ذل". [دره تعارض العقل والنقل" (٨٩/١)]

لقد استحقوا عقوبة الصرف من أجل (أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) قال الطبري . رحمه الله .:

٦٦- "يقول تعالى ذكره: صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينبوا، عقوبةً منا لهم على تكذيبهم بآياتنا، (وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) يقول: وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه (غَافِلِينَ) لا يتفكرون فيها، لاهين عنها، لا يعتبرون بها، فحق عليهم حينئذ قول ربنا فَعَطَبُوا".

قال ابن الجوزي . رحمه الله .:

٦٧- "يا أرباب الغفلة اذكروا، يا أهل الإعراض احضروا، يا غافلين عن المنعم اشكروا، يا أهل الهوى خلوا الهوى واصبروا، فالدنيا قنطرة فجوزوا واعبروا، وتأملوا هلال الهدى فإن غمَّ عليكم فاقدروا، فقد نادى منادي الصلاح حي على الفلاح فأسمع أهل الطول والعرض". [التبصرة" (ص:٦٧)]